الانسجام وأدواته

في خطب الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام

البحث الفائز بالمركز الخامس

بجائزة السبط المجتبى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام
للإبداع الفكري

المدرس الدكتور
رفاه عبد الحسين مهدي الفتلاوي
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

الانسجام وأدواته في خطب الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام

المدرس الدكتور
رفاه عبد الحسين مهدي الفتلاوي
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

المقدمة:

يعدُّ الانسجام خاصية سيمانطيقية للخطاب قائمة على تأويل كل جملة مفردة بتأويل الجملة التي قبلها وبعدها وهو أهم من الترابط؛ لأنّ الترابط لا يشكل إلاّ جانباً من جوانب الانسجام.

والانسجام أحد المعايير المهمة في تحقيق تماسك النص على مستوى بنيته العميقة والذي يتضافر مع معيار الاتساق النصي في طبع أي نص معالج بصفة النصية وبعبارة أخرى تحقيق التماسك الكلي للنص على المستوى السطحي (اللغوي) وعلى المستوى العميق (الدلالي) وهذا كلّه لا يتأتّى إلاّ بتوافر أدوات الانسجام النصي المختلفة من علاقات التبعية وهي: الإجمال والتفصيل، والظرفية، والشرط والجزاء، والعموم والخصوص. وعلاقات الربط وهي: الوصل والفصل، والإضافة، والعطف، وهذا ما سأفصله في البحث مطبقة إياها على خطب الإمام الحسن بن علي عليه السلام.

وقد مهّدتُ للبحث بتمهيد يحمل عنوان من مفهوم النص إلى مفهوم الانسجام تناولتُ فيه تعريفات النص المتعددة بسبب تعدّد المنطلقات والغايات فبعض التعريفات يقوم على مكونات النص الجملية، وبعضها على الترابط وبعضها يعتمد على التواصل النصي، وبعض رابع يعتمد على الإنتاجية الأدبية، أو فعل الكتابة، وبعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة، والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصاً، وختمتُ البحث بأبرز النتائج التي توصّل إليها.

والمهم من ذلك أنّ مختلف تلك الرؤى والمفاهيم المتعلقة بالنص، قد انطلقت من الدلالة الأولى ومن مفهوم النسيج لتستدل به على مفهوم الانسجام بعد ذلك.

التمهيد:

من مفهوم النص إلى مفهوم الانسجام يعرّف هارتمان النصّ بأنّه ((متوالية من الكلمات المنطوقة فعلاً في اللغة، فالنصوص قد تكون نسخاً منقولة أو مادّة مسجّلة، أو أن تكون نتيجة تدوين عمل أدبيّ، أو قطعة من معلومات - نصّ رسالة مثلا))[١].

والنصّ عند جون لاينز لا يكون نصّا إلاّ بوجود علاقات داخليّة تنتظم فيها متواليات الجمل، وهذه العلاقات هي التماسك والترابط، وعلاقات خارجية يحكمها السياق. ويخلص إلى أنَّ كلاّ من النصّ والسياق يتمّم كلّ منهما الآخر، ويفترض مسبقاً كلّ منهما الآخر، وتعدّ النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها، أما السياقات فيتم تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون والكتاب في مواقف معينة[٢].

كما نجد أنَّ كريستال وهاينه من وفيهفيجر لم يقصروا تعريف النصّ على كونه منطوقاً أو مكتوباً، وإنّما ادخلوا أصنافاً أخرى تشمل علامات الطريق والمحادثات، والتقارير الإخباريّة والصور الرمزيّة، والقصائد والإعلانات وغيرها، ويبرّران إدخال هذه الأصناف تحت مفهوم النصّ اعتماداً على وظيفة النصّ الرئيسة؛ وهي الوظيفة التواصليّة (Communicative Function) التي تُعرف بسمات مثل الاتّساق (Cohesion)، والانسجام (Coherence)، والإخباريّة (Informative ness)، وهذه السمات هي التي توفر تحديد الكيفيّة التي تنشئ وحدة النصّيّة أو النسيج[٣].

لقد تعدّدت تعريفات النص، بسبب تعدّد المنطلقات، والغايات. فبعض التعريفات يقوم على مكونات النص الجملية، وبعضها على الترابط وبعضها يعتمد

على التواصل النصي، وبعض رابع يعتمد على الإنتاجية الأدبية، أو فعل الكتابة، وبعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة، والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصاً[٤].

وأكثر من هذا أصبح ضرورياً التمييز بين مفهوم النص، كوجود فيزيائي منجز والخطاب كموطن للتفاعل، والوجه المتحرك من النص، وبعبارة أخرى فإن الخطاب في المفهوم اللساني هو كل نص يأتي نتيجة لعمل إرسال لساني، يقوم به مرسل ما، و يكون موجهاً بطريقة حتمية إلى قارئ أو سامع (فعلي أو متخيل)[٥].

والمهم أنّ مختلف تلك الرؤى والمفاهيم المتعلقة بالنص، قد انطلقت من الدلالة الأولى ومن مفهوم النسيج لتستدل به على مفهوم الانسجام بعد ذلك.

فالنص في تلاحمه وانسجامه كان نتيجة نسج وغزل، من هنا رأى فان دايك ((أنَّ العلاقة التي تكمن بين مفهومي النص، والنسيج تتجلى في تلك الروابط التي تتشكل بين مستوى الجمل: البنية الصغرى ومستوى العلاقات بين الجمل: البنية الكبرى))[٦].

الأمر الذي مهّد بعد ذلك إلى تكوين المقاييس التي تفصل بين النص وغير النص، فكان أهم تلك المعايير الانسجام، الذي يشكّل محوراً أساسياً في الدراسات النصية الحديثة وهو محور بحثنا هذا - الانسجام وأدواته - وتمّ اختيار خطب الإمام الحسن عليه السلام لتكون مجالاً رحباً للتطبيق المباشر له.

الانسجام وأدواته:

الانسجام لغة: ورد في لسان العرب[٧] أن المادة (س ج م) تدل على عدة معان أهمها: سجم: سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجمه سجماً وسجوماً وسجماناً: وهو قطران الدمع وسيلانه قليلاً أو كثيراً، وكذلك الساجم من المطر، والعرب تقول: دمع ساجم، ودمع مسجوم: سجمته العين سجماً، والمتتبع للمادة اللغوية (سجم) يجد أنّها ارتبطت بمفاهيم أهمها القطران والإنسباب والسيلان.

أمّا اصطلاحاً فهو ((الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل النص))[٨] وهو ما تنطوي عليه تشكيلة المفاهيم والعلاقات من تواصل ووثاقة صلة متبادلين[٩]. فالانسجام يهتم بالروابط الدلالية المتحققة في عالم النص بخلاف الاتساق الذي يهتم بالروابط الشكلية المتجسدة في ظاهر النص فيغدو الانسجام أعم من الاتساق وأعمق منه، حيث يطلب بنا الانسجام من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولّده[١٠] وقد أولى علماء النص عناية قصوى بالانسجام فيذكرون أنه ((خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكوّنة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى))[١١] ويختص الانسجام بالاستمرارية المتحققة في عالم النص ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينها. وتحتاج هذه العلاقات من القارئ جهداً في التفسير والتأويل واستخدام ما في مخزونه من معلومات عن العالم فالانسجام يتوقف على فهم المتكلمين، معتمداً على تجاربهم السابقة ومعارفهم وأهدافهم.

ويقوم الانسجام النصي عن طريق تحقّق العديد من العلاقات الدلالية بين أجزاء النص مثل:

أ- علاقات التبعية: الإجمال والتفصيل، والظرفية، والشرط والجزاء، والعموم والخصوص.

ب- علاقات الربط: الوصل والفصل، والإضافة، والعطف. وسيفصل البحث في علاقات الانسجام بنوعيها بدءاً بعلاقات التبعية وكالآتي:

١ـ علاقة الإجمال والتفصيل:

تعدُّ من ابرز العلاقات الدلالية التي ركّز عليها علماء النص لكونها تضمن اتصال المقاطع النصية ببعضها البعض بفضل ما تمنحه هذه العلاقة من استمرارية دلالية بين مقاطع النص[١٢] ومعنى ذلك أنّ تلك العلاقة لا تسلك دائما سبيل المجمل المفصل بل قد تتحوّل الأمور فيتقدّم المفصل على المجمل لتحقيق غاية معينة

وهو ما عبّر عنه ابن عاشور بقوله: ((للإجمال بعد التفصيل وقعاً من نفوس السامعين))[١٣].

من الواضح أنّ أيّ نص يشتمل على أجزاء تشكّل الكل الذي يتألف منها وهذه الأجزاء تحمل خصائص متنوعة منها: أنها تستقل من جانب ولكنّها تشترك فيما بينها من جانب آخر كما أنّها من جانب ثالث ترتبط عضوياً بما يتقدمها ويلحقها (أو بما يجاورها من العمارات الأخرى التي تشتمل على الخصائص نفسها).

ومن ذلك القصص والخطب التي خطبها الإمام الحسن عليه السلام بعد التحاق صاحبيه بمعسكر الضلال: روي أن الكندي والمرادي لما غدرا ونكثا بيعة إمام زمانهم الحسن بن عليّ عليهما السلام، وباعا حظهما بالثمن الأوكس فاختارا النار على الجنة، ومضيا إلى معاوية ابن أبي سفيان قام أبو محمد الحسن بن علي خطيبا فحمد الله وأثنى عليه، وقال: قد عرفتكم أنكم لا تفون بعهد، ولا تستنيمون إلى عقد، وقد غدر المرادي الذي أخبرتموه وقبله ما أخبرتكم الكندي. فقام ناس فقالوا: إن كان الرجلان غدرا فنحن ننصح ولا نغدر. فقال لهم: كلا وأنى أعذر بيني وبينكم مع علمي بسوء ما تبطنون، وتنطوون عليه، وموعدكم عسكري بالنخيلة. ثم خرج فعسكر بالنخيلة وأقام بها عشرة أيام فلم يلحق به منهم إلا عدد يسير. فانصرف عليه السلام إلى الكوفة[١٤].

وبهذا تكون هذه الخطبة المشار إليها مضطلعة بمهمة عضوية هي الوصل أو الربط الفني بين أقسامها عبر محورها وهو الغدر ونكث البيعة ويمكننا ملاحظة ذلك بوضوح حينما نقرأ الخطبة كاملة.

والتفصيل بعد الإجمال ذو علاقة وشيجة بالتحفيز والمسارعة في عمل الخيرات، وتنفيذ العبادات؛ إذ الأصل في المؤمن الطاعة والاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالى وهذا ما وجدناه عند الإمام الحسن عليه السلام حين يقوم بالنصح

والإرشاد لجميع المؤمنين ليكونوا مثالاً يقتدى به بالإيمان والتسامح وحب الجماعة وبغض التفرقة بين المسلمين كقوله عليه السلام: ((أمّا بعد فإني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا انصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغن، ولا مريداً له بسوء ولا عائلة ألا وأن تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، إلا واني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردوا عليّ رأيي غفر الله لي ولكم))[١٥]. وكذلك ما قاله عليه السلام في تشريع الفرائض الواجبة على المؤمنين وحثه إياهم على التحلي بها وعدم تركها ومن ذلك قوله: ((... لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليه بل رحمة منه لا اله إلاّ هو ليميّز الخبيث من الطيب وليبتلي ما في صدوركم... ففرض عليكم الحج والعمرة وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والولاية لنا أهل البيت وجعلها لكم باباً لتفتحوا به أبواب الفرائض ومفتاحاً إلى سبيله))[١٦] ثم ختمها بقوله: ((ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاّ على الظالمين)).

٢ـ علاقة العموم والخصوص:

تظهر هذه العلاقة بدءاً من عنوان النص عامة الذي كثيراً ما يرد بصيغة العموم في حين تكون بقية النص تخصيصاً له لاحتوائه على عناصر مركزية تكون بمثابة نواة تنمو وتتناسل عبر النص وفيه يكتمل بناؤه[١٧] كما تنشأ هذه العلاقة بين المقاطع النصية فترد بعض التعابير بصيغة العموم تتكفّل بتخصيصها مقاطع معينة من النص حيث تمنحه هذه العلاقة طبيعة دينامية تجعله في تفاعل واستمرار دلالي مع بعضه البعض[١٨].

يقوم البناء الفني لهذه الخطب على هيكل عام هو انطواؤه على عدة أنواع منها: تتضمن الوحدانية وما يستتبعها من ذكر نعوت، فإن عامة الناس لما كانت تجهل التوحيد وشؤونه فالأئمة المعصومون عليهم السلام قد أكثروا من ذكر الله وأوصافه لئلا يختلط الأمر ويشتبه الحال. وتناول في خطبه فضل أبيه الإمام علي بن أبي

طالب عليه السلام، وورد ايضاً في خطبه بعض صفاته سبحانه وتعالى، وكذلك الوعظ والإرشاد للمسلمين، والتذمر من المنافقين، وكذلك ما خطبه في تقاعس الكندي والمرادي عن الجهاد، وتناول في خطبه بيان أمجاده وحسبه ونسبه، وفي النصح والإرشاد، وفي الحثّ على الجهاد والثناء عليه، وفي كشف حقيقة الصلح والبيعة، وفي بيان منزلة أهل البيت وفضائلهم، وفي عرض خبث عنصر معاوية وأتباعه الأربعة، وفي التوجيه الاجتماعي.

أمّا الخطوط التي تنتظم هذه الأقسام فتظل مترابطة فيما بينها بطبيعة الحال كل ما في الأمر أنّ عملية الترابط العضوي بين أجزاء النص تأخذ حيناً طوابع الوصل المقطعي أي أنّ كل مقطع يفضي إلى آخر من خلال خاتمته التي تمهّد إلى المقطع الآخر وتأخذ حيناً طوابع الوصل العام أي أنّ الموضوعات المطروحة يلقي بعضها الإنارة على البعض الآخر من خلال عنصر مشترك يوحّد بينها.

إنّ الاستهلال يعكس أهمية الموضوع ويلقي بإنارته على أجزاء النص الأخرى سواء أكانت الإنارة مستغرقة لجميع الأقسام أم لبعضها وقد عرض السمات الآتية:

لما تمَّ الصلح قال عليه السلام: ((أيها الناس إنّ أكيس الكيس التقي، وأحمق الحمق الفجور، وإنّكم لو طلبتم ما بين جابلق وجابرس رجلاً جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما وجدتموه غيري، وغير أخي الحسين عليه السلام، وقد علمتم أن الله هداكم بجدي محمد صلى الله عليه وآله فأنقذكم به من الضلالة، ورفعكم به من الجهالة وأعزّكم بعد الذلة وكثّركم بعد القلة، وأنّ معاوية نازعني حقاً هو لي دونه، فنظرتُ لصلاح الأمة، وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني، وتحاربوا من حاربني فرأيتُ أن أسالم لمعاوية، وأضع الحرب بيني وبينه، وقد بايعته ورأيتُ أن أحقن دماء المسلمين خير من سفكها ولا أريد بذلك إلاّ صلاحكم، وبقاءكم، وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين))[١٩].

ومن الواضح أنّ النص المتمثّل هنا في خطبته عليه السلام حينما يستهل ويختم بموضوع واحد إنّما يعني أهمية ذلك الموضوع وامتيازه على الموضوعات الأخرى وهذا ما وجدناه في كلامه حين تمّ الصلح.

والاهم من ذلك كلّه إنّ خطبه عليه السلام ومنها خطبته في بيان منزلة أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم وهو يتحدّث عنهم يختم ذلك بعبارة ((ونحن والله ثمرة تلك الشجرة، فمن تعلّق بغصن من أغصانها: نجى ومن تخلّف عنها فإلى النار هوى))[٢٠]. إنّ هذا الختام يحتل موقعاً هندسياً ممتعاً من النص حيث سنجد انعكاساته على الأقسام اللاحقة من الخطبة وهذا هو أهم ما نُعنى به.

أو استهلال الخطبة بقوله عليه السلام ((إنّ الله عز وجل اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم، فنحن الذرية من آدم، والأسرة من نوح، والصفوة من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، وآل محمد نحن، فيكم كالسماء المرفوعة والأرض المدحوة والشمس الصاحية، وكالشجرة الزيتونة، لا شرقية ولا غربية التي زيتها النبي صلى الله عليه وآله وعلي فرعها))[٢١] إذ نجده يذكر ذريته من آدم وأسرته من نوح وصفوته من ابراهيم وسلالته من اسماعيل واصفاً إياهم بالسماء والأرض والشمس والشجرة المذكورة في القرآن الكريم.

٣ـ الظرفية:

قال العكبري: ((والذي يطلق عليه الظرف عند النحويين ما حسُن فيه إظهار (في) وليست في لفظه لان الحرف الموضوع لمعنى الظرفية (في) فإذا لم تكن ودلّ الاسم عليها صار الاسم مسمّى بها))[٢٢].

ومن الظروف الواردة في خطبه عليه السلام والتي كان لها دور في تماسك النص بعضه ببعض (حين) وذلك في قوله عليه السلام: ((إنّ رب عليّ كان اعلم بعليّ حين قبضه إليه))[٢٣] وقوله: ((وقد جعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا

يقتلونه))[٢٤] فظرف الزمان حين جاء مبنياً لأنّه أضيف إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ غير ناقص فجاء مبنياً على الفتح في محل نصب على الظرفية وجملة (قبضه - واستضعفوه) في محل جر بالإضافة.

وظرف الزمان (يوم) في قوله عليه السلام: ((ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ومعك ومع أبيك راية الشرك))[٢٥] فقد جاء ظرف الزمان يوم مختصاً بالإضافة منصوب على الظرفية.

٤ـ الشرط والجزاء:

هو ترتيب أمر على آخر بأداة وأدوات الشرط التي تستعمل في هذا الترتيب والشرط يعني وقوع الشيء لوقوع غيره[٢٦].

محور الجملة الشرطية الربط بين حدثين مختلفين ربطاً عضوياً بحيث يكون احدهما مقدمة والآخر نتيجة وهذان الحدثان اللذان يتم ربطهما ليسا قائمين بذاتهما وحدهما بل أنهما مسندان بالضرورة إلى من يقوم بهما وبهذا لا يكون الترابط بين حدثين في الحقيقة بل بين تركيبين اسناديين لكل منهما مقوماته الاسنادية من محكوم به ومحكوم عليه.

ولا يتم الربط بين هذين التركيبين إلاّ بأداة خاصة تقوم بترتيب العلاقة بينهما وجوداً أو عدماً، ماضياً أو مستقبلاً ومعنى هذا أنّ العناصر المكونة للجملة الشرطية في الحقيقة ثلاثة هي: الأداة، وتركيب فعل الشرط، وتركيب الجواب أو الجزاء.

وأكّد ابن السراج أنّه لا بد للشرط من جواب وإلاّ لم يترك الكلام وهو نظير المبتدأ الذي لا بد له من خبر ألا ترى أنك لو قلت: زيد لم يكن كلاماً وقال فيه صدق أو كذب، فإذا قلت منطلق تمّ الكلام فكذلك إذا قلت: أن تأتني لم يكن كلاماً حتى تقول: آتك وما أشبه[٢٧].

فالترابط بين الشرط والجزاء ضروري لتحقق الفائدة ولكن هذا الترابط لم

يأتِ عفواً وإنّما نتج عن أداة الشرط التي لولاها لما كان ثمة بين الطرفين صلة وهكذا يلمس ابن السراج بوضوح العناصر الثلاثة المكونة للجملة الشرطية وهي: الأداة والفعل والجواب.

فدور أدوات الشرط إذن، هو ربط الجملتين، وتعلّق بعضهما ببعض؛ فجملة الجزاء تتعلّق بجملة الشرط عن طريق أدوات الربط، وما يتضمّن معنى الشرط من وجوب وجود هاتين الجملتين، إذ لا يستقيم الكلام بإحداهنّ.

ومن أمثلة الترابط الشرطي الموجود في خطب الإمام عليه السلام قوله: ((الحمد لله الذي من تكلّم سمع نطقه، ومن سكت علم ما في نفسه، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه معاده))[٢٨] جملة فعل الشرط هي (تكلّم - وسكت - وعاش - ومات) وهي تركيب إسنادي فعلي فعله ماضٍ أمّا جملة جواب الشرط فهي (سمع نطقه- علم - وفعليه رزقه - وفإليه معاده) وتكون تركيب إسنادي فعلي فعله ماض كما في (سمع - وعلم) أو جملة اسمية مبدوءة بالفاء الرابطة الواقعة في جوابه كما في(فعليه رزقه - فإليه معاده)والأداة الرابطة بينها هي(من).

ومثال الربط بالأداة (لو) قوله عليه السلام: ((ولو لم يبقَ منهم إلاّ عجوز درداء لبغت دين الله الغوابل))[٢٩] فلو شرطية ربطت بين جملتي فعل الشرط وجواب الشرط ورد بعدها فعل الشرط وهو فعل مضارع مجزوم بلم (لم يبقَ) أمّا جوابها فهو تركيب إسنادي فعلي فعله ماض مثبت مسبوق باللام وهو (لبغت).

ومثال الربط بالأداة (لولا) قوله عليه السلام: ((لولا محمد صلى الله عليه وآله وأوصياؤه كنتم حيارى لا تعرفون فرضاً من الفرائض))[٣٠] فالأداة (لولا) فضلاً عن ربطها بين تركيبي فعل الشرط (محمد) وجواب الشرط (كنتم حيارى) تستعمل أيضاً للدلالة على امتناع الشيء لوجود غيره يليها تركيب فعل الشرط ولا يكون إلاّ مبتدأ خبره محذوف وجوباً تقديره موجود كما في (محمد) يليه تركيب جواب الشرط وهو أيضاً تركيب إسنادي فعلي فعله ماضٍ ناقص كما في (كنتم حيارى).

ومما سبق وجدنا أنّ الشرط أسلوب لغوي يدلّ على تلازم جملتين وارتباطهما بواسطة أداة تسمى أداة الشرط وينبني هذا الأسلوب بالتحليل بين جزءين الأول بمنزلة السبب والثاني بمنزلة المسبب يتحقّق الثاني بتحقّق الأول وينعدم بانعدامه وهذا التحقق والترابط بالتالي يقودنا إلى ترابط النص نفسه.

ومن علاقات الربط الواردة في خطب الإمام عليه السلام الآتي:

١ـ الفصل والوصل:

عاش فن الفصل والوصل في وجدان الناطق العربي، الذي احتاج أن يربط بين معنى ومعنى برابط، أو يقطع معنى عن معنى بقاطع، وهو في فصله ووصله يهدف إلى تحقيق غاية جمالية يسمو إليها ؛ لأنّه يحرص على أداء فكرته في وضوح لا لبس فيه لتصل إلى المخاطب في جمال وجلاء.

كما يعد الفصل والوصل وسيلة من وسائل إبراز الجمال مع غيره من الأساليب، وله أدوات، إن فصلاً وإن وصلاً، وطرق لأداء وظيفته، فقد يفصل القرآن الكريم بين معنيين أو يربط بينهما، متخذاً الإيضاح وسيلة لإبراز جمال المعنى فيعرضه جلياً لا شركة فيه ولا لبس، ليكون خالصاً بذاته أمام المخاطب ليتدبره حق التدبر، أو يتخذ الإيجاز وسيلة في عرضه كيلا يتشتت الذهن في استيعاب المعنى، أو يحاول تثبيته وتقريره لأهميته وخطره، أو يعرضه في نسق ملفت مثير، أو يقطع الموضوع إلى أجزاء موصولة أو يعرضه بأشكال متعددة أو يقف أمام الهيئة المنفصلة أو الهيئة المتصلة ليرصد حركته أو يصور أبعادها أو يناسب بين الإيقاع الصوتي والإيقاع الدلالي أو غير ذلك. والفصل والوصل في كل هذا يراعي دائما إثارة عقول المخاطبين بمختلف درجات استيعابهم وإثارة أنفسهم بمختلف نزعاتها وميولها، وكذا وجدانهم وأذواقهم[٣١].

وتسهم دراسة موضوع الفصل والوصل في إبراز التلاؤم والتجانس في أجزاء الكلام؛ وذلك لأنّ التلاؤم وعدم التلاؤم بين المعاني قضيّة جمالية فكرية، والبحث

فيها مائج رجراج لا حصر لصوره، والبحث فيه كالبحث في صورِ أمواج البحر، وكالبحث في صورِ حركات السحب وتشكيلاتها المتنوعات الناتجات عن تقاربها وتباعدها، واجتماعها وافتراقها، مع اختلاف ألوانها وكثافاتها في الأبعاد الثلاثة: الطول والعرض والعمق[٣٢].

وقد حدّد العلماء للفصل والوصل قواعد معينة سيفصّل البحث بما ورد منها في خطبه عليه السلام وكالآتي:

الأولى: أن تتحد الجملتان اتحاداً تاماً بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها، بأن تكون مؤكّدة لها أو موضّحة ومبيّنة لها، أو بدلاً منها، بدل كل، أو بدل بعض، أو بدل اشتمال.

والثانية: أن يكون بين الجملتين تباين تام، وذلك باختلاف الجملتين، خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى، أو معنى فقط وألا تكون بينهما مناسبة، بشرط ألا يوهم الفصل خلاف المقصود نحو قول الشاعر:

الفقر فيما جاوز الكفافا ... من اتقى الله رجا وخافا

والثالثة: أن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال يفهم من الأولى، فتفصل الثانية عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال، لما بينهما من الاتصال.

والرابعة: أن تسبق جملة بجملتين يصحّ عطفها على إحداهما ولا يصحّ عطفها على الأخرى لفساد المعنى، فيترك العطف دفعاً لتوهم أن تكون الجملة معطوفة على التي لا يصح العطف عليها.

والخامسة: أن تكون الجملتان متفقتين خبراً أو إنشاء، وبينهما رابطة قوية، ولكن يمنع من العطف مانع، وذلك بأن يكون للجملة الأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية.

وحدّدوا للوصل قواعد ثلاثاً:

أولاها: أن تكون الجملة الأولى لها موقع من الإعراب وأريد إعطاء الثانية هذا الحكم الإعرابي، وكان هناك مناسبة ولا مانع من الوصل.

الثانية: أن تتفق الجملتان خبرا أو إنشاء، لفظا ومعنى أو معنى فقط، مع وجود المناسبة بينهما، وليس هناك مانع من الوصل.

الثالثة: أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع إيهام الفصل خلاف المقصود مثل: (لا وعافاك الله).

ومن أمثلة الفصل والوصل الواردة حسب القواعد المذكورة أعلاه ومما وجد في خطب الإمام الحسن عليه السلام الآتي:

- من الجمل الخبرية والتي تحتوي على أسلوب الاستفهام قول الإمام الحسن عليه السلام: ((أنا مدينة العلم، وعلي بابها، وهل يدخل المدينة إلاّ من بابها))[٣٣]، فهنا جملة خبرية لها معنى يحدده تركيبها قد أطلقت خالية من أي تأكيد فجاءت إخبار عن فضل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بشهادة نبي الأمة محمد صلى الله عليه وآله، وقوله عليه السلام: ((أنا ابن البشير النذير أنا ابن السراج المغير أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا))[٣٤]فقد جاءت الجملة الخبرية هذه للتأكيد على فضل أبيه عليهما أفضل الصلاة والسلام قد قالها صبيحة الليلة التي قبض فيها أميرنا علي بن أبي طالب عليه السلام.

- من الأساليب الطلبية الموجودة في خطب الإمام عليه السلام: أسلوب الأمر وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ويرد بصيغ مختلفة منها: صيغة فعل الأمر ومما ورد منها في خطبه قوله عليه السلام: ((فاتقوا عباد الله واعلموا من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن))[٣٥]، وكذلك صيغة المضارع المقرون بلام الأمر في قوله عليه السلام: ((... ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، ولتتسابقوا الى رحمته ولتتفاضل

منازلكم في جنته))[٣٦].

وأسلوب الاستفهام وهو((طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل))[٣٧]. ومثاله قوله عليه السلام: ((أتعلمون أنّ علياً حرّم الشهوات على نفسه))[٣٨] وقوله: ((هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان))[٣٩].

وأسلوب النداء الذي عرّفه ابن عقيل بقوله: ((هو طلب المتكلِّم إقبال المخاطب بواسطة أحد حروف النِّداء ملفوظاً كان حرف النِّداء أو ملحوظاً))[٤٠] ومن المحدثين من يراه بأنّه أسلوب القصد منه التّنبيه وحمل المنادى على الالتفات[٤١].

ومثاله في خطب الإمام عليه السلام قوله: ((يا عجباً من قوم لا حياء لهم لهم ولا دين ولا غدرة بعد غدرة))[٤٢]، وقوله: ((سر بها يا عليّ فأي أمرت أن لا يسير إلاّ أنا أو رجل مني وأنت فأبي من جدي))[٤٣].

- من الأساليب غير الطلبية الموجودة في خطبه عليه السلام القسم وهو ((يمين يُقسِم بها الحَالف ليؤكّد بها شيئاً يُخْبر عنه من إيجاب أو جحد))[٤٤] وقد أشار النّحاة إلى أنّ القَسَم أحد الأساليب المؤكّدة للكلام، قال سيبويه: ((اعلم أنّ القَسَم توكيد لكلامك))[٤٥] والغرض من هذا التّوكيد إزالة الشّك عن المخاطب بتوكيد الخبر في النّفي والإثبات[٤٦].

ومثاله في خطب الإمام قوله عليه السلام: ((فوالله ما وفيتم لمن كان خيراً مني فكيف تفون لي))[٤٧] وقوله: ((فوالله الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد الا نقصه الله من عمله مثله))[٤٨].

وعلى هذا النحو الذي رأينا تكون هذه العلاقات - الأساليب - قد أسهمت إسهاماً بالغاً في ترابط أجزاء النص وتماسكه عن طريق استمرار معنى أو دلالة سابقة في جزء أو مقطع نصي لاحق وهذا ما يحقق الترابط المعنوي والمضموني على مستوى النص بل قد يتجاوز حدود هذا النص ليحقق هذا الترابط

والتماسك على مستوى طائفة من النصوص تكون قد خضعت لإحدى هذه العلاقات وقد تسهم هذه العلاقات أيضاً في ترتيب الأفكار وتنظيم أجزاء النص على نحو يكون معه النص كلاً موحداً منتظماً تنظيماً منطقياً.

٢ـ العطف:

وهو: ((حمل الاسم على الاسم، أو الفعل على الفعل، أو الجملة على الجملة، بشرط توسط حرف بينها من الحروف الموضوعة لذلك))[٤٩]، ولكن ((تعطف الاسم على الاسم إذا اتفقا في الحال، والفعل على الفعل إذا اتفقا في الزمان، تقول: (قامَ زيدٌ وعمرٌو)؛ لأنّ القيام يصحّ في كل واحد منها، ولا تقول: (ماتَ زيدٌ والشمسُ)؛ لأنّ الشمس لا يصحّ موتها، وتقول: (قام زيدٌ وقعَدَ) لاتفاق زمانيهما ولا تقول: (يقوم زيدٌ وقعَدَ) لاختلاف زمانيهما))[٥٠].

أمّا الحروف الموضوعة للعطف فهي: الواو، والفاء، وثم، وأو، وأم، ولا، وحتى، ولكن. والغرض من العطف بالأول -عطف مفرد على مفرد- ((اختار العامل، واشتراك الثاني في تأثير العامل الأول، فإذا قلت: (قام زيدٌ وعمرٌو)، فأصله (قام زيدٌ قام عمرو)، فحذفت (قام) الثانية، لدلالة الأولى عليها، وصار الفعل الأول عاملاً في المعطوف والمعطوف عليه))[٥١] أمّا القسيم الثاني فـ((عطف جملة على جملة، نحو: (قامَ زيدٌ وقعدَ عمرٌو)، و(زيدٌ منطلقٌ وبكرٌ قائمٌ)، ونحوها من الجمل، والغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض واتصالها، والإيذان بأنّ المتكلم لم يُرِد قطع الجملة الثانية من الأولى))[٥٢].

ويبدو أنّ العطف في المفرد والجملة واحد، وهو إرادة ربط الأول بالثاني، أمّا ما قيل في اختصار العامل - مع صرف الاختلاف الحاصل في نظرية العامل وترجيح القول فيها.

والعطف من وسائل الربط لذا لم يهمله النصانيون في دراساتهم بل عدّه غير واحد منهم وسيلة مستقلة من وسائل الانسجام.

وقد تنبه محمد الشاوش في كتابه أصول تحليل الخطاب إلى أثر العطف في تحقيق التماسك النصي واعتبره احد مظاهر الربط بين الجمل وافرد له جزءاً كبيراً من كتابه(٥٣).

أمّا أحمد عفيفي فقد جعل العطف أحد وسائل الربط إلى جانب أدوات أخرى تساهم في اتساق النص وانسجامه عن طريق الربط الذي عدّه أصعب الأدوات تحديداً كونه تماسكاً وظيفياً بدرجة كبيرة لأنّ هذا النوع يعتمد على الروابط السببية المعروفة بين الأحداث التي يدل عليها النص وهي متنوعة تسمح بالإشارة إلى مجموعة المتواليات السطحية بعضها ببعض(٥٤).

وقال محمد حماسة: ((يقوم حرف العطف مع التطابق في العلامة الإعرابية بالدور العظيم في ترابط المعطوف بالمعطوف عليه وقد تتوافر عناصر أخرى من خارجها كأن يكون المعطوف عليه والمعطوف مطلوبين لما يدل على المشاركة... ويقوم معنى حرف العطف نفسه بدور في مشاركة المعطوف المعطوف عليه))(٥٥).

وقد تحقّق الانسجام من خلال حروف العطف: الواو، والفاء، وثم كما في الأمثلة الآتية:

الواو:

ومعناها إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول ؛ وليس فيها دليل على أيّهما كان أولاً؛ نحو قولك: جاءني زيد وعمرو، ومررتُ بالكوفة والبصرة. فجائز أن تكون البصرة أولاً، فالواو من حروف العطف التي تجمع الشيئين ولا تدلُّ على الترتيب ويدخل عليها ألف الاستفهام(٥٦).

ومن صور العطف بالواو وجدنا الآتي:

١ـ عطف اسم على اسم:

ومثاله قوله عليه السلام: ((فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته والجد والصبر، والاستعانة بالله والخفوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين))(٥٧) حيث تمّ العطف

بالواو على (تقوى) بالكلمات (طاعته - والجد - والصبر والاستعانة - والخفوف) محدثاً هنا تماسكاً وصلابة في بنية النص الكلية، فقد استخدم الإمام عليه السلام أدوات العطف ليشكّل بها العلاقات الدلالية القريبة والبعيدة.

٢ـ عطف فعل على فعل:

ومثاله قوله عليه السلام: ((الحمد لله على ما قضى من أمر، وخصَّ من فضل، وعمّ من أمر وجلل من عافية))[٥٨] عطفت الواو بين الأفعال إذ نجدها عطفت كل من (خصّ - وعمّ - وجلل) على الفعل (قضى) وهو من باب عطف فعل على فعل.

فالواو من أكثر أدوات العطف شيوعاً في خطب الإمام الحسن عليه السلام وهذا يدلُّ على أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يجمع بين المعاني والأحداث المتوافقة والمتضادة في وقت واحد بلا ترتيب معين، وهو ما يسمح به الاستعمال اللغوي لحرف العطف الواو، فهذه تعدُّ تقنية فنية.

الفاء:

وهي للترتيب باتصال وتدلُّ على تأخر المعطوف عن المعطوف عليه متصلاً به. ومن أمثلتها في خطب الإمام الحسن عليه السلام قوله: ((... دعاه فأجابه، وقاده فاتبعه))[٥٩] فترتّب على الدعاء الإجابة والإتباع بعد القيادة وتأتّى ذلك من خلال العطف بحرف الفاء الذي أفاد الترتيب.

وقوله عليه السلام: ((إنّ الله هو الغني وأنتم الفقراء إليه فاعملوا من بعد ما شئتم فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون))[٦٠]. ساهمت الفاء بالتماسك الداخلي في العبارات وارتبطت الكلمات بعضها ببعض من خلال حرف الفاء بصورة آلية محققة التماسك بين مضمون الخطبة.

ثمَ:

وهي للترتيب بانفصال وتدلّ على تأخر المعطوف عن المعطوف عليه منفصلاً، أي: متراخياً عنه، نحو: جاء زيد فعمرو.

ومثاله في خطب الإمام قوله عليه السلام: ((معاشر الناس إنّ طلحة والزبير بايعا علياً طائعين غير مكرهين ثم نفرا))[٦١] عطف الفعل نفرا من خلال الحرف ثم الذي أفاد الترتيب بانفصال.

ومن هذا العرض نستطيع أن نقول: إنّ حروف العطف تمد جسور الاتصال بين المفردات والجمل، والعبارات في النص الواحد، أي إنّها تؤدي إلى التماسك النصي بين عناصر النص وبالتالي إلى انسجامه.

٣ـ الإضافة:

وهي ((نسبة اسم إلى غيره على تنزيل الثاني من الأول منزلة تنوينه أو ما يقوم مقام تنوينه))[٦٢]، أو أنّها((نسبة تقييدية بين اسمين توجب لثانيهما الجر أبداً))[٦٣].

والقصد من الإضافة عند النحويين هو النسبة، فعندما نقول: (غلامُ زيدٍ) فليس المراد من ذلك سوى نسبة الأول إلى الثاني، وهذه النسبة تقوم على الربط بينهما، فتجعلهما بمنزلة الشيء الواحد، أو الكلمة الواحدة، وهو ما نص عليه النحويون، قال المبرد: ((فإذا أضفت اسماً مفرداً إلى اسم مثله مفرد أو مضاف، صار الثاني من تمام الأول وصارا جميعاً اسماً واحداً وانجر الآخر بإضافة الأول إليه نحو: هذا عبدُ اللهِ))[٦٤].

وتنقسم الإضافة عند النحويين إلى قسمين:

أ- إضافة معنوية (محضة):

وهي الأصل في الإضافة لكونها تجمع بين المتضايفين، بوساطة النسبة بينهما، فلا يمكن تقدير الانفصال، ويكون المعنى فيها موافقاً للفظ فيتعرّف المضاف بإضافته إلى معرفة، ويتخصّص بإضافته إلى نكرة، وهذا هو الغرض الأصلي من الإضافة، لذا سمّيت معنوية، وسمّيت محضة؛ لأنّها خالصة من تقدير الانفصال[٦٥].

وشمل ورود الإضافة المعنوية في خطب الإمام عليه السلام معظم الصور التي يكون عليها المضاف، تبعاً للغرض المعنوي الذي يستفيده من الإضافة في اكتسابه التعريف بإضافته إلى نوع من أنواع المعرفة، والتخصيص بإضافته إلى نكرة من النكرات، وفقًا للأنماط الآتية:

النمط الأول: المضاف نكرة والمضاف إليه معرف بالألف واللام:

ومثاله في خطبه عليه السلام قوله: ((وعنده نحتسب عزانا في خير الآباء))[٦٦] وقوله: ((والحمد لله الذي أحسن الخلافة علينا أهل البيت))[٦٧] وقوله: ((وعند الله نحسب عزانا في أمير المؤمنين))[٦٨] فقد جاء المضاف في العبارات السابقة نكرة (خير- وأهل - وأمير)، وقد أضيف إلى الأسماء المعرفة بالألف واللام (الآباء - والبيت - والمؤمنين) فاكتسب التعريف بوساطة الإضافة إليها، وانسحب التعريف على جميعه كما يرى النحويون، وهو الصحيح. إذ لا يمكن أن يقال أنّ الأول اكتسب التعريف بالثاني، وإلاّ لكانت ماهية التعريف فيه كما هي في المعارف التي يضاف إليها، وعليه لا يكون هناك موجب للتعريف غير الإضافة.

النمط الثاني: المضاف نكرة والمضاف إليه علم:

ومثاله في خطبه عليه السلام قوله: ((أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه))[٦٩] وقوله: ((فقال: بأبي أنت وأمي ذرية بعضها من بعض))[٧٠] وقوله: ((وأيم الله لا ترى أمة محمد صلى الله عليه وآله خفضاً ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أمية))[٧١] وقوله: ((لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامي الله صائب على أعداء الله))[٧٢] وجاء في هذا النمط الإضافة إلى الأسماء الأعلام المتمثل بلفظ الجلالة (الله - ومحمد).

وما يتميز به هذا النمط عن غيره من الأنماط، كثرة مجيء التركيب فيه مصدَّراً بكنية، وقد يعود ذلك إلى شبه التلازم بين الألفاظ الدالة على الكنى، وبين الأعلام لما بينهما من نسبة، لذا ترد في الغالب مضافاً إليها، ومن هذه الألفاظ لفظتي (أب، وأم) فقد جاء التركيب مصدراً بهما في (بأبي - وأمي).وورد

مصدراً بلفظة (ابن) في (ابن الداعي) كما جاء مصدراً بلفظة (بني) في (بني أمية).

النمط الثالث: المضاف نكرة والمضاف إليه ضمير:

واختلف هذا الضمير ما بين ضمائر الغائب والغائبين والمخاطبين والمتكلمين ومثاله في خطبه عليه السلام قوله: ((أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه))[٧٣] وقوله: ((أنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلاّ اشتد أمرهم واستحكمت عقدتهم... لم يمتنع قوم قط إلاّ رفع الله عنهم العلة وكفاهم الذلة وهداهم إلى معالم الملة))[٧٤] وقوله: ((اعلموا إنّ الله لم يخلقكم عبثاً وليس بتاركم سدى كتب آجالكم وقسم بينكم معائشكم ليعرف كل ذي لب منزلته... وقد كفاكم مؤنة الدنيا وفرّغكم لعبادته وحثّكم على الشكر))[٧٥] وقوله: ((أما بعد فان القبور محلتنا والقيامة موعدنا والله عارضنا))[٧٦].

النمط الرابع: المضاف نكرة والمضاف إليه نكرة:

ورد هذا النمط في قوله عليه السلام: ((فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته))[٧٧] وقوله: ((ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً))[٧٨] جاء المضاف نكرة (قلب - وأهل)، مضافاً إلى نكرة (بشر - وبيت) فاكتسب التخصيص بهذه الإضافة، وأصبح أقل شيوعاً مما كان عليه من قيم وإطلاق. وهذا الغرض الذي تفيده الإضافة في هذا النمط.

ب- الإضافة اللفظية أو (غير المحضة):

وهو ما تكون فيه الإضافة لفظاً والمعنى على غيره لما بين جزئي التركيب الإضافي من تقدير للانفصال، وشرطها أن يكون المضاف صفة عاملة مضافة إلى معمولها دالة على الحال والاستقبال[٧٩].

وذهب النحويون إلى أنّ غرض هذه الإضافة أنّها لا تفيد تعريفاً أو تخصيصاً، وإنّما فائدتها تعود إلى غرض لفظي هو التخفيف وذلك بحذف التنوين، أو النون

في المثنى، وجمع المذكر السالم[٨٠] وتقع في ثلاثة أنواع: اسم الفاعل، والصفة المشبهة.

اسم الفاعل:

اشترط النحويون في عمل اسم الفاعل أن يكون بمعنى المضي ومن أنماطه: اسم الفاعل نكرة والمضاف إليه معرف بالألف واللام:

ومثاله في خطبه عليه السلام قوله: ((أنا ابن خاتم النبيين))[٨١] فاسم الفاعل (خاتم) نكرة أضيفت إلى اسم معرفة وهو(النبيين)، ولم تكتسب التعريف لأنّها أضيفت إلى ما عملت فيه وإنّما أفادت الإضافة فيها ضرباً من التخفيف.

الصفة المشبهة باسم الفاعل:

وهي ما يجري على (يفعل) من فعلها نحو: كريم، حسن، عزيز، إلاّ أنّها تعمل شبهها باسم الفاعل في أنّها تذكَّر وتؤنَّث وتثنى وتجمع ويدخلها الألف واللام. ومن أنماطها: الصفة المشبهة نكرة والمضاف إليه معرف بالألف واللام: ومثاله في خطبه عليه السلام قوله: ((أحمده على حسن البلاء))[٨٢] جاءت الصفة المشبهة باسم الفاعل (حسن) نكرة مضافة إلى المعرف بالألف واللام وهي (البلاء) فلم تكتسب بهذه الإضافة تعريفاً، لإجرائها وصفاً للنكرة، وعند سيبويه أنّ حذف التنوين من الصفة المشبهة وإضافتها إلى معمولها هو الأحسن والأكثر.

الأسماء الملازمة للإضافة إلى المفرد:

اشتملت الخطب على بعض الأسماء التي تلازم الإضافة إلى الظاهر تارة وإلى المضمر تارة أخرى وهي: (كلا، غير، مثل) وتكون تطبيقاتها في خطب الإمام الحسن عليه السلام كالآتي:

كلا:

ذهب النحويون إلى أنّ (كلا) لا تكون مضافة إلاّ إلى معرفة مثنى لفظاً،

ومعنى، نحو: كلا الرجلين، أو معنى دون اللفظ نحو كلاهما. وتجري (كلا) عند النحويين مجرى (كل) في التوكيد وإن أضيفت إلى الضمير تعرب إعراب المثنى، فقد جاءت مضافة إلى ضمير مثنى معنى، دالة على التوكيد، معربة إعراب المثنى[٨٣].ومثالها في خطبه عليه السلام قوله: ((أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلّى القبلتين كلتيهما وأنت يا معاوية بهما كافر))[٨٤].

فنلاحظ أنّ (كلتيهما) ارتبطت بالقبلتين معنى وتثنية وتوكيداً وهذا وسيلة من وسائل التماسك النصي في الخطبة.

غير:

لفظ مبهم ((لا تكون إلا نكرة ولا تجمع ولا يدخلها الألف واللام))[٨٥] وتؤدي وظائف عديدة في السياق كما تكون لها دلالات متنوعة، كالاستثناء، ووقوعها صفة، وحالاً فتقوم لا مقامها، ويكون إعرابها حسب موقعها في الجملة، تبعاً لدلالتها، وما تشغله من وظائف في الكلام.

ووردت بأنماط مختلفة هي:

١- غير والمضاف إليه ضمير المتكلم:

ومثاله في خطب الإمام عليه السلام قوله:((وإنكم لو طلبتم ما بين جابلق وجابرس رجلاً جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما وجدتموه غيري))[٨٦] فغيري أضيف إلى ضمير المتكلم.

٢- غير والمضاف إليه اسم مضاف إلى اسم معرف بأل:

ومثاله قوله عليه السلام: ((ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين عليه السلام))[٨٧] نجد أنّ (غير) أضيفت إلى اسم مسند إلى ياء المتكلم وهو (أخي) الذي أضيف بدوره إلى كلمة (الحسين) فنلاحظ هذا الترابط بين الكلمات والسبك المنتظم الذي تآلفت منه الخطبة.

٣- غير والمضاف إليه نكرة:

ومثاله قوله عليه السلام: ((وأنشأ ما خلق على غير مثال))[٨٨].

مثل:

لفظ يفيد التسوية، ويشابه (غير) في أنّه لا تدخل عليه الألف واللام، إلاّ أنّه يخالفه في المعنى وجاءت بنمطين هما:

١- مثل والمضاف إليه ضمير:

ومثاله قوله عليه السلام: ((ولقد اختصه بفضل لم تعهدوا بمثله))[٨٩] أضيفت كلمة (مثل) إلى الضمير الهاء.

٢- مثل والمضاف إليه معرف بالإضافة إلى الضمير:

ومثاله قوله عليه السلام: ((ولم تجدوا مثل سابقته))[٩٠].أضيفت كلمة (مثل) إلى اسم مضاف إلى الضمير الهاء.

الخاتمة:

تمخّض البحث عن جملة من النتائج هي:

١- إنّ الانسجام من أهم المقاييس النصية التي تميز بين النص واللانص، يمكن دراسته، والبحث فيه بمنهج لساني، يتجاوز حدود الجملة إلى النص كله.

٢- وجد البحث أنّ الانسجام يتعلق بالجانب الدلالي ويشتمل عناصر: السبك: النظام، والالتحام: التماسك الإنسجامي.

٣- إنّ أدوات الانسجام التي اعتمدها الدارسون في دراساتهم من أجل إبراز التماسك الشكلي والدلالي للنص كثيرة ومختلفة من باحث لآخر وليست نهائية ولا ثابتة لكن هناك حد أدنى من الاتفاق حول أهم هذه الأدوات التي تساهم في تحديد البنية الكلية للنص.

٤- كان للمتلقي دور في الحكم على تماسك هذه الخطب من خلال كشف البنية الخطابية لهذا الخطب إذ إنّ المتلقي ذا دور واضح في التحليل النصي.

٥- وجدنا أنّ أدوات العطف مؤشرات لغوية يعتمد عليها الترابط على المستوى السطحي والدلالي للنص.

٦- تؤثر حروف العطف في تماسك النصوص من خلال معانيها الدلالية، كالجمع بين الألفاظ أو الجمل أو التخيير بينها، أو ترتيب المعاني وانسيابها، وهذه المعاني تتجدد بتجدد الاستعمال اللغوي.

٧- يرى البحث أنّ معنى الشرط أن يقع الشيء لوقوع غيره أي أن يتوقف الثاني على الأول فجملة الشرط هي المعلّق عليها وجملة جواب الشرط هي التي يترتّب عليها الفعل فإذا وقع الأول وقع الثاني.

٨- يعدُّ الانسجام من أهم المسائل التي يطرحها علم اللغة الحديث، ومن أهم القضايا التي لقيت اهتماماً عن علماء العرب والمسلمين، وحتى المستشرقين فالانسجام مظهر خطابي، يوحد مختلف المستويات في النص، ولا يفرق بينها من هنا جاء الاختيار له كموضوع للبحث وتطبيقه في خطب الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام.

هوامش البحث

(١) مدخل إلى علم اللغة النصيّ /١٢.

(٢) ينظر: اللغة والمعنى والسياق : جون لاينز/١٣٤.

(٣) ينظر: من النصّ إلى الفعل /٣٤٢، مقدّمة في نظريات الخطاب/٣٢١.

(٤) ينظر: نحو النص: أحمد عفيفي /٢١.

(٥) ينظر: الأسلوبية: جورج مولينه/٢٠، تحليل الخطاب: سعيد يقطين/١٩.

(٦) تحليل الخطاب/٢٣.
(٧) ينظر : لسان العرب (سجم).
(٨) النص الغائب: محمد عزام/٤٨.
(٩) ينظر: مدخل الى علم النص: الهام ابو غزالة /١٢٠.
(١٠) ينظر: أصول تحليل الخطاب: محمد الشاوش/٧٩.
(١١) المصدر نفسه/ ٩٨، ٩٩.
(١٢) ينظر: لسانيات النص : محمد خطابي/٧٢٧.
(١٣) التحرير والتنوير : ابن عاشور ٣٠٢/١.
(١٤) ينظر: الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام/٢٣.
(١٥) المصدر نفسه /١١.
(١٦) نفسه/٦.
(١٧) ينظر : لسانيات النص/٢٧٢.
(١٨) ينظر: المصر نفسه/٢٧٢.
(١٩) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام/٦٢.
(٢٠) المصدر نفسه/٦٢.
(٢١) نفسه /٦٢.
(٢٢) اللباب في علل البناء وقواعد الاعراب ١٦٥/١.
(٢٣) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام/٨.
(٢٤) المصدر نفسه/٩.
(٢٥) نفسه/١٢.
(٢٦) ينظر: المقتضب ٢٣٤/٢ شرح المفصل ١٢٣/٧.
(٢٧) ينظر : الأصول ١٦٤/٢.
(٢٨) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام/٣.
(٢٩) المصدر نفسه/٦.
(٣٠) نفسه/٦.
(٣١) ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم: منير سلطان /١٩٣.
(٣٢) ينظر: البلاغة العربية : حسن حبنكه الميداني ٥٥١/١.
(٣٣) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام/ ١٢.
(٣٤) المصدر نفسه /١٦.
(٣٥) نفسه/١.
(٣٦) نفسه/٤.

(٣٧) علم المعاني/٤٢، وينظر: علوم البلاغة/٦١.
(٣٨) نفسه/٩.
(٣٩) نفسه/٩.
(٤٠) شرح ابن عقيل ١٦/٣.
(٤١) ينظر: في النّحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي/٣٠١.
(٤٢) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام/٨.
(٤٣) المصدر نفسه/٩.
(٤٤) المخصص مج ١١٠/١٣/٤.
(٤٥) الكتاب ١٠٤/٣.
(٤٦) ينظر: شرح المفصل ٢٤٤/٥.
(٤٧) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام/١٢.
(٤٨) المصدر نفسه/٣٢.
(٤٩) المقرب: ٢٥١.
(٥٠) اللمع : ١٨١.
(٥١) شرح المفصل: ٧/٢.
(٥٢) المصدر نفسه: ٨/٢.
(٥٣) ينظر: اصول تحليل الخطاب ٤٠١/١.
(٥٤) ينظر: نحو النص: احمد عفيفي /١٢٨.
(٥٥) بناء الجملة العربية /١٩٣.
(٥٦) ينظر: المقتضب: المبرد ١٥/٢.
(٥٧) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام/٦.
(٥٨) المصدر نفسه/٢.
(٥٩) نفسه/٤.
(٦٠) نفسه/٦.
(٦١) نفسه/٨.
(٦٢) شرح التصريح على التوضيح: الأزهري ٢٤/٢.
(٦٣) همع الهوامع شرح جمع الجوامع: السيوطي٤٦/٢.
(٦٤) المقتضب: المبرد١٣٤/٢.
(٦٥) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري ٨٧/٣.
(٦٦) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام/٢.
(٦٧) المصدر نفسه/٣.

(٦٨) نفسه/٣.
(٦٩) نفسه /٣.
(٧٠) نفسه /٣.
(٧١) نفسه /٤.
(٧٢) نفسه/٥.
(٧٣) نفسه/٤.
(٧٤) نفسه/١٠.
(٧٥) نفسه/٤.
(٧٦) نفسه /٣.
(٧٧) نفسه /١.
(٧٨) نفسه /٩.
(٧٩) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش ٨٣/٢.
(٨٠) ينظر: أوضح المسالك ٤٨/٣.
(٨١) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام/٣.
(٨٢) المصدر نفسه/٥.
(٨٣) ينظر: كتاب سيبويه ١١٦/٢، مغني اللبيب ٢٠٤/١.
(٨٤) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام /٥.
(٨٥) كتاب١ سيبويه/١٤، شرح الرضي١٢٣/٢.
(٨٦) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام/١٠.
(٨٧) المصدر نفسه/٢١.
(٨٨) نفسه/٣.
(٨٩) نفسه /١٢.
(٩٠) نفسه/٥.

قائمة المصادر والمراجع

- الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، ط١، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٩٧م.
- أصول تحليل الخطاب: محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس/٢٠٠١م.

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك :ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين، ط ٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ ١٩٦٦ م.

- التحرير والتنوير : الطاهر بن عاشور، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس/١٩٧٨.

- الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام: السيد مصطفى الموسوي، تحق السيد مرتضى الرضوي، ط١، ١٩٧٥.

- شرح التصريح على التوضيح : الأزهري،ط٢، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

- شرح المفصَّل: ابن يعيش، عالم الكتب؛ بيروت، د.ط، د.ت.

- كتاب سيبويه : سيبويه، تحق عبد السلام هارون .القاهرة/١٩٨٧.

-لسان العرب: ابن منظور، دار صادر؛ د ط؛ بيروت/ ١٩٦٨.

- لسانيّات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: محمّد الخطابيّ، المركز الثقافيّ العربيّ، ط١، بيروت.

- اللغة والمعنى والسياق: جون لاينز، ترجمة د. عباس صادق الوهاب، مراجعة د. يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافيّة، ط١، بغداد، ١٩٨٧.

- مدخل إلى علم اللغة النصيّ، ترجمة د. فالح بن شبيب العجميّ، مطابع جامعة الملك سعود، ط١؛ الرياض/ ١٩٩٩.

- المقتضب: المبرد، تحق محمد عبد الخالق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة /٢٠٠٦.

- مقدّمة في نظريات الخطاب: ديان مكدونيل، ترجمة د. عز الدين إسماعيل؛ المكتبة الأكاديميّة، ط١، القاهرة، ٢٠٠١.

- من النصّ إلى الفعل؛ ترجمة محمّد برادة وحسان بورقيّة، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، ط١، القاهرة، ٢٠٠١.

- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : احمد عفيفي، ط١، القاهرة /١٩٩٧.

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع: السيوطي، تحقيق محمد بدر الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر..